شرح
الصلاة المشيشية

لسيدي الشيخ أحمد بن محمد الصاوي رحمه الله

موقع الطريقة الشاذلية الدرقاوية

http://www.shazly.com

بسم الله الرحمن الرحيم

(اللهم صل): ارحم رحمة مقرونة بالتعظيم.

(على من) الموصول عائد على النبي صلى الله عليه وسلم، وأبهمه للعلم به، وإشارة إلى مزيد تعظيمه، لأن الإبهام قد يؤتى به للتعظيم، كما في قوله تعالى : { فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ }. وقوله: { الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ }.وقوله: { الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ }.

(منه انشقت الأسرار): صلة من، أي انفتح باب الأسرار، وهي جمع سر ضد الجهر، والمراد: اتضح به كل ما كان خفياً.

(وانفلقت الأنوار): أي انفتح باب الأنوار الحسية والمعنوية، وتعبيره أولاً (بانشقت)، وثانياً (بانفلقت) تفنن، دفعاً للثقل.

(وفيه ارتقت الحقائق) أي في المصطفى صلى الله عليه وسلم ظهرت حقائق الأشياء، فهو بمنزلة السماء، والحقائق بمنزلة الكواكب.

(وتنزلت علوم آدم): أي وفيه نزلت علوم آدم. والمراد بعلوم آدم: علم جميع الأسماء. فأعجز بذلك الملائكة، حيث أمرهم الله تعالى بقوله جل ذكره: { بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }. فعجزوا، فقال: { قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ }. فجميع العلوم التي نزلت على آدم نزلت على المصطفى صلى الله عليه وسلم،وزاد علم حقائق المسميات.

(فأعجز الخلائق): جميع الخلائق: أى المخلوقات، ملائكة، وغيرهم، حتى آدم، فَعِلْمُ آدم لم يعجز إلا الملائكة، وعلمه صلى الله عليه وسلم أعجز الأولين والأخرين.

(وله تضاءلت الفهوم): أى تصاغرت أفهام الخلائق عن إدراك حقيقة النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : (((لايَعلَمُنى حقيقةً غير ربي)))، وهذا معنى قول البوصيرى:

أعيا الورى فهم معناه فليس يرى للقرب والبعد فيه غير منفحم

ولذلك علله بقوله: (فلم يدركه منا سابق ولا لاحق):أى معشر المخلو قين من أول الزمان إلى آخره، فلم يقف له أحد على حقيقة الدنيا، أما في الآخرة فتدرك حقيقته لكشف الحجاب عن الخلائق، قال البوصيرى:

إنما مثلوا صفاتك للناس كما مثّل النجوم الماء

وقال في البردة:

وكيف يدرك فى الدنيا حقيقة قوم نيام تسلوا عنه بالحلم

(فرياض الملكوت بزهر جماله مونقه): إضافة الرياض إلى مابعده من إضافة المشبه به للمشبه. والرياض: جمع روضة، بمعنى بساتين. والملكوت: ماغاب عنا كالجنة والعرش والكرسي. وإضافة زهر للجمال من إضافة المشبه به للمشبه أيضا. والزهر فى الأصل اسم للنور الذى يكون فى البساتين.ومونقة. مزينة، فشبه تزيينة للملكوت بتزين الزهر للرياض، فكما أن البساتين مزينة بالزهر، فالملكوت مزين بجماله، وحاصل ما فى المقام أن العوالم أربعة:

عالم الملك: وهو ماظهر لنا. وعالم الملكوت: وهو ماغاب عنا من المحسوسات، كالجنة، والنار، والعرش، والكرسي. وعالم الجبروت: هو عالم الأسرار، والعلوم والمعارف. وعالم العزة: وهو ماختص به من علم ذاته وصفته.

(وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقه): جمع حوض، وهو في الأصل: محل صب الماء، وتقدم أن الجبروت هم عالم الأسرار والعلوم. والباء في (بفيض) بمعنى مِن. والتدفق: الامتلاء، فشبه قلوب العارفين بالحياض، وشبه علومه بالبحر، فتلك الحياض أي القلوب متدفقة ممتلئة من ذلك البحر، الذي هو علم النبي صلى الله عليه وسلم.

(ولا شيء إلا وهو به منوط) أي معلق.

(إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط): هذا علة لقوله: لاشيء إلا وهو به منوط..، وليس المراد من قولنا: قيل، صيغة التضعيف، وإنما المراد النسبة، أي كما قال العارفون قولاً قوياً يعتمد عليه، ومنه قول بعضهم:

وأنت باب الله أي امرئ أتاه من غيرك لا يدخله

(صلاة تليق بك، منك إليه كما هو أهله): صلاة: مفعول مطلق لقوله: صلِ. وما بينهما اعتراض. وقوله: تليق بك: أي بجنابك وإحسانك. (ومنك إليه): أي واصلة منك إليه.

وقوله (كما هو أهله): الكاف تعليلية، أي لأجل أنه أهله، لأنه لا يعرف قدره إلا أنت.

(اللهم) أي ياالله.

(إنه) أي المصطفى صلى الله عليه وسلم.

(سرك) أي المسمى بهذا الاسم.

(الجامع) أي لجميع ما تفرق في غيره من الكمالات والعلوم والمعارف والبركات والمعجزات.

(الدال عليك) أي الذي يدل الخلائق ويوصلهم إليك.

(وحجابك الأعظم) أي المانع الأعظم، فهو حجاب بين الله وبين خلقه، فلا يمكن أحداً الوصول لله إلا بواسطته... أو حجاب بمعنى: مانع المضار الدنيوية والأخروية عن أمته، والأعظم صفة الحجاب، ووصفه بالأعظم لأن الأنبياء حجب أيضاً لأممهم، فهو أعظمهم، وكذا الشيخ حجاب تلاميذه، فتلك حجب خاصة، والمصطفى صلى الله عليه وسلم هو الحجاب الكلي.

(القائم لك بين يديك) أي الداعي الخلق إليك بك من غير واسطة بيك وبينه، والمراد: أنه قائم بحضرة القرب المعنوي، منهمك في طاعتك.ولما استحضر عظمة المصطفى صلى الله عليه وسلم بتلك الأوصاف المتقدمة التي لم تكن لمخلوق سواه، تضرع لربه بقوله:(اللهم) أي ياالله.

(ألحقني) أوصلني.

(بنسبه) هو دين الإسلام، ولذا قال صلى الله عليه وسلم: آل محمد كل تقي.

(وحققني بحسبه): المراد بالحسب هنا التقوى، أي ارزقنا تقواك بطاعتك وطاعة رسولك، فأكون محققاً بها، فإن الحسب ما يفتخر به من مكارم الأخلاق، قال تعالى: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ }، وقال البوصيري في حق آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم:

سدتم الناس بالتقى وسواكم سودته البيضاء والصفراء

(وعرفني إياه) أي يالله عرفني ذلك الحبيب.

(معرفة) مفعول مطلق لقوله عرفني.

(أسلم بها) أي بسبب تلك المعرفة.

(من موارد الجهل) الموارد جمع مورد وهو مكان ورود الماء. والجهل: ضد العلم، والمراد الجهل الضار في الدين، فشبه الجهل بماء من سم، فكما أن السم مهلك للأبدان فالجهل مفسد للأديان.

(وأكرع): أشرب.

(بها): أي بتلك المعرفة.

(من موارد الفضل): ضد الجهل فقد شبه العلم النافع بالماء الزلال بجامعِ أن كلاً فيه حياة، فإن العلم فيه حياة القلوب والأرواح، والماء فيه حياة الأجساد والأشباح.

(واحملني على سبيله إلى حضرتك حملا محفوفاً بنصرتك) الحمل في الأصل هو الركوب، والسبيل: الطريق. فقد شبه الطريق بدابة تُركَب إلى دار الملك، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو الحمل. والمعنى: اسلك بي طريقته، واجعلني عاملاً بشريعته، محفوظاً من كل عائق حتى أصل إليك بعنايتك.

(واقذف بي على الباطل فأدمغه) أي اجعل الحق معي، ومصحوباً بي، فأذهب به إلى الباطل فأدمغه، قال تعالى: (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) الباطل كل ما شغل عن الله تعالى، والمعنى: اجعلني مهدياً في نفسي، هادياً لغيري.

(وزج بي في بحار الأحدية) أي أدخلني في توحيد الأحدية الشبية بالبحر، وهو الفناء عن سوى الذات العليا، فلا يشهد سواها في ظاهره وباطنه، ويقال لصاحبها: هو في مقام الفناء، وفي عين الجمع، المعبَرُ عنه بتجريد التوحيد.

(وانشلني) أي خلصني سريعاً.

(من أوحال) مخاوف.

(التوحيد) إنما قال ذلك عقب قوله: وزج بي ....، لأن صاحب الفناء إن لم تدركه العناية أنكر ثبوت الآثار، ومنها الرسل وما جاءوا به، والعالَم برمته. ومعنى تخليصه من تلك الأوحال نقله إلى مقام البقاء، فلذلك قال:

(وأغرقني)أي واجعلني مستغرقاً.

(في عين) ذات.

(بحر) توحيد.

(الوحدة) وهو شهود الذات متصفةً بالصفات، ويسمى صاحبه في مقام البقاء، وفي مقام جمع الجمع، فيستدل على الصنعة بالصانع، لكونه لا يشهد إلا الله وصفاته، والصنعة آثار صفاته، فلذلك قال:

(حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلا بها) فيكون جامعاً بين مقام الفناء ومقام البقاء، كمن أحيي بعد الموت، وقال العارف بالله سيدي محمد بن وفا رضي الله عنه:

وبعد الفنا في الله كن كيفما تشا فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر

تنبيه: قد علم مما تقدم من قوله (واحملني على سبيله) إلى هنا ثلاثة مقامات: مقام المحجوبين، السائرين إلى الله، المستدلين بالصنعة على الصانع، أفاده بقوله: (واحملني على سبيله إلى حضرتك ...). ومقام إهل الفناء المحض الذين غرقوا في توحيد الأحدية، فلم يشهدوا سوى ذات الله تعالى، وقد أفاده بقوله: (وزج بي في بحار الأحدية). ولما كان مقام سكر، وخروج عن طور البشرية، وعن حد التكليف، قال: (وانشلني ...). ومقام أهل البقاء بعد الفناء، وهم الذين يشاهدون الصنعة بوجود الصانع، لكونهم شهدوا قبل كل شيء ذات مولاهم، وصفاته وأسمائه وقد أفاده بقوله: (وأغرقني في عين بحر الوحدة ....) وهذا معنى حديث: [لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به،

ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها)، فأشار في الحديث إلى مقام السائرين بقوله: ولايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل، وإلى مقام الفناء المحض بقوله: حتى أحبه، وإلى مقام البقاء بقوله: فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، ومعناه كنت مشهوده قبل سمعه ومسمعه، وبصره ومبصره، ويده وبطشها، ورجله ومشيها، لكونه يشهدني قبل كل شيء، وهذه آثاري لا ترى له إلا بعد شهودي، وهو معنى قول بعض العارفين عن الحضرة العلية:

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

فقوله(تلك آثارنا) أمرنا بالسير لمن يستدل بالصنعة على الصانع، وقوله(فانظروا بعدنا) أي بعد الفناء فينا بسيركم إلينا (إلى الآثار) أي فاشهدوا آثارنا بعد شهودنا، وهذا مقام البقاء.... وهذا المعنى هو الذي قال فيه سيدي عبد الغني النابلسي:

كل شيء عقد جوهر حلية الحسن المهيب

ولما كان كمال العبودية، وكمال التوحيد والمعرفة، لا يتم لصاحبه إلا بالاستقاء من يد المصطفى صلى الله عليه وسلم قال:

(واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي) المراد بالحجاب المصطفى صلى الله عليه وسلم كما تقدم أنه يسمى الحجاب الأعظم، والبرزخ الكلي، وبغير ذلك ...، والمعنى: مد روحي من النبي صلى الله عليه وسلم كما تمد العود الأخضر عند الماء... فكما أن المياه حياة الأبدان والنبات، هو صلى الله عليه وسلم حياة الأرواح وروحها، فالأرواح التي لا تشاهده ولا تستقي منه كأنها أموات، وهي أرواح أهل الكفر والعصيان ...

(وروحه سر حقيقتي): أي اجعل روحه ذاكرة لإنسانيتي في الملأ الأعلى، وجد لي بكل خير، لأني إذا لم يتوجه إلي خسرت وندمت.

(وحقيقته جامع عوالمي) أي اجعل كل أجزائي مشغولة به ظاهراً وباطناً، ولا أتعلق بغيره، بل أكون تابعاً له في كل ما أمر به، ونهى عنه. كما قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: لو غاب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين.

(بتحقيق الحق الأول) أي العهد الأول، يوم ألست بربكم، يحتمل أن تكون الباء للقسم، والمعنى: أقسم عليك يارب بتحقيق الحق الأول أن تستجيب لي ما دعوتك به. ويحتمل أن الباء للمصاحبة متعلقة بالدعوات المتقدمة من قوله(وزج بي) إلى هنا، فيصير المعنى: زج بي في بحار الأحدية زجة موافقة لتوحيدي الأول، وانشلني من أوحال التوحيد نشلة مصاحبة للتوحيد الأول، وأغرقني في عين بحر الوحدة غرقة موافقة للتوحيد الأول، واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي جعلاً مصاحباً للتوحيد الأول، وهكذا .....

(ياأول) : الذي ليس قبله شيء، أو الذي لا افتتاح لوجوده.

(ياآخر) الذي ليس بعده شيء، أو الذي لا انقضاء لوجوده.

(ياظاهر) الذي ليس فوقه شيء، أو الذي ظهر بصنعه وأفعاله.

(يا باطن) الذي ليس دونه شيء، أو الذي تحجب عنا بجلاله.

(اسمع ندائي) سماع قبول وإجابة.

(بما سمعت به نداء عبدك زكريا) أي بمثل ما سمعت به نداء عبدك زكريا، حيث قال: { رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ }، قال تعالى: { فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى } عليهما الصلاة والسلام. وإنما خص زكريا دون غيره من الأنبياء، لأنه طلب أمراً عظيماً وهو يحيا عليه السلام، فورثه في النبوة والعلوم والمعارف، فطلب الشيخ من الله أن يهبه خليفة وارثاً له، مثل خليفة زكريا عليه السلام، فأعطاه الله القطب الكبير سيدي أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه، فورثه في الطريق والعلوم والمعارف.

(وانصرني بك) أي قوني بحولك وقوتك.

(لك) أي لوجهك، لا لأغراض نفسي.

(وأيدني بك) أي بسر من عندك قوة إيمان، وصبر على البلاء، حيث تصير البلايا عطايا، فأصبر شاكراً على السراء، حامداً على الضراء.

(لك) : أي لمرضاتك.

(واجمع بيني وبينك) أي أزل حجاب الغفلة وكل شاغل يشغلني عنك، ولا تحجبني عن مشاهدتك طرفة عين.

(وحل بيني وبين غيرك) من كل قاطع يقطعني عنك. فالجمل الأربعة متقاربة، والدعاء محل إطناب ...

(الله، الله، الله) كرره ثلاثاً إشارة إلى أن المراتب ثلاثة، توحيد الأفعال والصفات، وقيل الحكمة في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلقن أصحابه الذكر ثلاثاً. وقيل الحكمة في ذلك: أن درج المنبر النبوي ثلاث،

فكان النبي صلى الله عليه وسلم كلما صعد درجة قال: الله. فاقتدي به. وقيل في الحكمة من ذلك: أن الله وتر. وقيل الحكمة في ذلك أن النفوس ثلاثة: أمارة ولوامة ومطمئنة، فإذا قال: (الله) أولاً خرج من الأمارة. وإذا قال: (الله) ثانياً خرج من اللوامة. وإذا قال: (الله) ثالثاً وصل إلى المطمئنة.

(إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) الحكمة من ذكر الآية: أن الآية قيلت للنبي صلى الله عليه وسلم، فكأن المصنف يقول: أصدقت وعد حبيبك فأصدق وعدي، بأن تلحقني به ...

(ربنا آتنا من لدنك رحمة) أي أعطنا رحمة من عندك.

(وهيئ لنا من أمرنا رشداً) أي يسر لنا، والرشاد ضد الضلال والغي. انتهى.